مجلة كلية الآداب. جامعة الإسكندرية . المجلد ٧١ . العدد ١٠٦ .

الاتجاهــات النقديــة في علم الاجتماع:

لعالم الاجتماع: "بيير بورديــو"

الباحثة : هدير محمد الدناصورى

ماجستير علم الاجتماع ـ جامعة الإسكندرية

أخصائى بإدارة متابعة المشروعات البحثية والتطبيقية

بجامعة قناة السويس .

المقدمـة

في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وقبيل الثانية، نشأت أزمة التفسير في العلوم الاجتماعية، وأصبحت تلك الأزمة إحدى مشكلات فلسفة العلم، حيث قام العديدون بالتشكيك في العلم الاجتماعي، وبدأ البعض ينفي صفة العلمية عن العلوم الاجتماعية، ودعم هذا الزعم ظهور الحاجة إلى توافر فلسفة تؤيد ما تنادي به تلك العلوم، بتقديم رؤية جديدة لتاريخ العلم، يعدّ من خلالها التقدم العلمي عملية دائمة في اكتشاف كل ما هو بعيد عن الصواب ومحاولة تصحيحه، وقد صادف تلك الأزمة التي مرت بها تلك العلوم، ظهور نجم بيير بورديو الذي حاول من خلالها صنع الاختلاف في مشروعه الخاص.

فيُعدّ بيير بورديو من أكبر العلماء الذين أثاروا العديد من المجادلات والمناقشات والخلافات في مراقبة ما توصل إليه العلم الاجتماعي في مجال البحث والنظرية، فضلاً عن تطبيق النقد البنّاء لجهود العلماء السوسيولوجيين.

وله العديد من الاهتمامات المتنوعة في العلم \ السياسة \ الفن \ الأدب \ الموسيقى \ الصحافة \ التلفزيون والرياضة.....

وتندرج هذه الورقة البحثية تحت نموذج الدراسات الاستطلاعية، ويتم تقسيم هذه الورقة البحثية في ضوء أهداف وتساؤلات الدراسة.

١. أهداف الدراسة وتساؤلاتها

للدراسة هدف رئيسي يتمثل في: التعرف على الاتجاهات النقدية في علم الاجتماع الذي ينطلق منه خمسة أهداف فرعية:

أ.التعرف على إسهامات بيير بورديو في الاتجاهات النقدية.

ب. التعرف على الأساس النظري والمنهجي لديه.

ج. تسليط الضوء على أهم القضايا التي تناولها اتجاه بورديو في النقد.

د. التعرف على جوانب القوة والضعف لكتابات بيير بورديو.

هـ. الكشف عن أوجه التقارب والتباعد بين فكر بيربورديو وكل من كارل ماركس وماكس فيبر.

ولتحقيق هذا الهدف يتم طرح تساؤلات الآتية:

أ . ما السيرة الذاتية لبيير بورديو (نشأته، تعليمه والمهن التي اشتغلها) والأكاديمية (إنتاجه العلمي ومشروعاته البحثية) فضلاًعن كتاب أثّروا في فكره وأيديولوجيته وإسهاماته .

ب. ما أهم الأدوات النقدية التي استخدامها بيير بورديو في النظرية والمنهج؟

ج. ما أهم القضايا التي استخدمها بيير بورديو في نقده للواقع الاجتماعي؟

د. ما أهم الفروقات و الانتقادات التي وجهت له في النقد الاجتماعي ؟

هـ. ما أوجه التقارب والتباعد بين فكر بيير بورديو وكل من كارل ماركس وماكس فيبر؟

٢. المسلمات :

تستند هذه الورقة البحثية علي عدة مسلمات :

أ. علم الاجتماع النقدي **Critical Sociology** أحد فروع علم الاجتماع والتى أسهمت في تقدم العلم وتجاوز أزمة علم الاجتماع.

ب. التوجه الذي يتناوله المفكر والعالم يكون من خلال مجموعة من القضايا تشكل إطارًا نظريًا لنقد النظام الاجتماعي القائم أو الكشف عن تناقضاته.

ج. النقد هو أساس التقدم العلمي والتقني والاجتماعي والاقتصادي والسياسي والتربوي

٣. أهمية الدراسة:

أ. الأهمية النظرية للدراسة:

تحاول الدراسة الراهنة الكشف عن أهم الظواهر التي تناولها بيير بورديو بالنقد، مع إلقاء الضوء على أدوات النقد (النظري والمنهجي) التي استخدمها بيير بورديو في تحليلاته، تمهيدًا لدراسات أكثر عمقًا ونقدًا لفكر وإسهامات بيير بورديو في علم الاجتماع.

ب. **بينما تأتي أهميتها التطبيقية:**

في العرض العلمي لأهم القضايا الافتراضية في إطار فكر وتصورات بيير بورديو في سياقها السوسيولوجي، توجه الاهتمام وتبصر الباحثين لدراستها فيما بعد مع السياق المجتمعي للمجتمع المصري.

أولاً: البنية التحتية لفكر بيير بورديو

١. العالم والسيرة الذاتية والأكاديمية والمهنية:

ولد بيير بورديو عام ١٩٣٠ في قرية بجنوب غرب فرنسا، حيث كان والده مزراعًا ثم ساعي بريد، وغادر بيير بورديو منطقته، وهو طالب موهوب ومجتهد، ليحضر مدرسة **Lycée Louis-le-Grand** في باريس، ثم دخل المدرسة المرموقة للتعليم العالي، تخرج منها كبار المفكرين الفرنسيين من دوركهايم إلى سارتر إلى فوكو، للبحث عن الحقيقة التي هي أساس المعرفة وهدف أساسي لأي مفكر طامح، فتخرج بدرجة في الفلسفة، واطّلع على أرقى التخصصات في فرنسا. **(Medvetz & j. Sallaz ,2018,p2)**

وبعد التخرج، قام بيير بورديو بتدريس الفلسفة في المدرسة الثانوية في مولينز، وهي بلدة صغيرة في وسط فرنسا، قبل أن يخدم في الجيش الفرنسي في الجزائر، ثم شغل منصب محاضر في الجزائر عام ١٩٥٨.**(Crossman, May 2019)**

وصف العديد من النقاد مسار بورديو بأنه غير متوقع ويمثل في حد ذاته أعجوبة، خاصة عند تأمل نشأته، وإلى ما نفترضه حول جمود الحدود الطبقية باعتباره أحد الفلاحين مع حدود التنقل بين الأجيال في المجتمعات الحديثة، حيث وصف بورديو نفسه –في محاولته إجراء تحليل اجتماعي لظروف الإنتاج الخاصة به– بأنه من الطلاب الذى ساعدتهم الظروف للتنقل صعودًا، وتكريس أنفسهم لخدمة العلم الأكاديمي وإنجاز مسار فيه الكثير من الإبداع، ولكنهم مع ذلك يشعرون بأنهم غرباء عن النخبة الثقافية المقدسة.

وحياة بيير بورديو يجب أن تُفهم في سياق المجتمع الفرنسي في القرن العشرين، فمساره الشخصي جعله ضمن التسلسل الهرمي الأكاديمي الفرنسي في سياق التوسع في الثقافة الجماهيرية.

ففي فرنسا خلال أواخر القرن العشرين بالأخص، يمكن إرجاع اهتمام بيير بورديو بالسلطة والهيمنة إلى تجربته كجندي غير راغب في الاحتلال الاستعماري الفرنسي للجزائر.

وقد صعد بيير بورديو في نهاية المطاف إلى قمة الهرم الأكاديمي في فرنسا، خاصة عندما شارك في سلسلة من الدراسات النقدية للنخبة الفرنسية. (Medvetz & j. Sallaz 2018,p2)

وبعد انقضاء وقته في الجزائر، عاد بورديو إلى باريس في عام ١٩٦٠. بعد فترة وجيزة من بدء التدريس في جامعة ليل، حيث عمل حتى عام ١٩٦٤.

وأصبح بورديو في هذا الوقت مدير الدراسات في كلية الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية، وأسس مركزًا لعلم الاجتماع الأوربي.

في عام ١٩٧٥ ساعد بورديو في تأسيس مجلة متعددة التخصصات أكتيس دي لا ريشيرتش إن ساينسس سوسياليس، التي رعاها حتى وفاته.

من خلال هذه المجلة، سعى بورديو إلى إضفاء الطابع الوطني على العلوم الاجتماعية، وكسر المفاهيم المسبقة للحس السليم العادي والعلمي، والخروج من الأشكال القائمة للاتصال العلمي من خلال خلط التحليل والبيانات الأولية والوثائق الميدانية والرسوم التوضيحية المصورة. في الواقع، كان شعار هذه المجلة "العرض والإظهار ."

و حصل بورديو على العديد من الجوائز والمكافآت في حياته أهمها :

مركز ميدل d'أور دو ناتيونال دي لا ريزيرتش سينتيفيك في عام ١٩٩٣؛ جائزة غوفمان من جامعة كاليفورنيا، بيركلي في عام ١٩٩٦؛ وفي عام ٢٠٠١حصل على وسام هكسلي للمعهد الأنثروبولوجي الملكي

وتأثر بورديو بمؤسسي علم الاجتماع : ماكس فيبر، كارل ماركس، وإميل دوركهايم.
(Crossman, 25 May 2019) .

ـ الإنتاج المعرفي لبورديو: إسهاماته في علم الاجتماع \ مشروعاته البحثية

كان بيير بورديو مفكرًا وباحثًا في العلوم الاجتماعية، غزير الإنتاج، وهو مؤلف لأكثر من ٣٥ كتابًا و ٤٠٠ مقالة، ظهرت في العديد من اللغات.

حيث أجرى بورديو دراسات مؤثرة على الحياة تتداخل فيها تخصصات عدة كالفلسفة والطب وعلم الأحياء وغيرهم من العلماء اللامعين من أمثال **Émile Durkheim and Maurice Halbwachs** كانوا قد قاموا من قبله بتلك الدراسات، إلا أنه ركز اهتمامه على العلوم الاجتماعية. **(wacquant, May 2006, p1)**

ركز بيير بورديو على نظرية المعرفة وعلى تاريخ العلم، الذي وضعه ضد التيار السائد آنذاك، الوجودية، التي يرأسها جان بول سارتر، وتحولت دعوته في الفلسفة بشكل مفاجئ إلى العلوم الاجتماعية. **(Ollion,Nov2012)**

كما أجرى بورديو أبحاثا إثنوغرافية إبان الحرب الجزائرية، ودرس الصراع عبر الشعب القبَلي، ونشرت نتائج هذه الدراسة في الكتاب الأول لبورديو، علم الاجتماع الجزائري (علم الاجتماع في الجزائر). **(Crossman, 25 May 2019)**

إضافه إلى هذا أسس بورديو وأدار سلسلة كتب **le Sens commun** لمدة تتجاوز خمسة وعشرين عامًا، وأسس عام ١٩٩٦ دار نشر جديدة هي (**Raisons d`agir**) استمرت بعد وفاته.

طور بورديو لغة مفهومية مميزة مثل "الأبيتوس" (نظام الاستعدادات)، و"رأس المال الثقافي"، و"الحقل" (**Field**)، و"العنف الرمزي" وهي المصطلحات التي أصبحت شائعة للغاية في السوسيولوجيا والأنثربولوجيا.

وكان بورديو منظرًا اجتماعيًا رئيسًا، وباحثًا تجريبيًا ذا قدرة فائقة على مزج النظرية الاجتماعية المجردة والتقصي التجريبي النقدي، وصنف عمله الأكثر شهرة **Distinction**، سادس أهم عمل سوسيولوجي في القرن العشرين، وفقًا لدراسة مسحية قامت بها الجمعية السوسيولوجية العالمية، أما عمله **The logic of practice**، فاحتل المرتبة الأربعين، كما احتل عمله **Reproduction in Education , Society and Culture** المرتبة ٤٨، ولم يحتل من المفكرين الفرنسيين –بجانب بورديو– مرتبة متقدمة بين أهم خمسين عملاً سوى إميل دوركهايم وميشيل فوكو.

كما أنجز بورديو العديد من أعماله بالتعاون مع آخرين؛ لأنه كان يدير مراكزه البحثية في مدرسة الدراسات العليا للعلوم الاجتماعية وكوليج دي فرانس، وفي ضوء كثرة عدد المشاركين الذين عملوا معه طوال سنوات مديدة وشبكة علماء الاجتماع الأوسع نطاقًا الذين استقوا تأثيرًا مباشرًا منه في أعمالهم، فإنه ليس من قبيل المبالغة القول إن بورديو أسس مدرسة حقيقية في علم الاجتماع، هي الأهم في فرنسا منذ إميل دوركهايم.

ولم يقتصر عمل بورديو على مهنة علم الاجتماع فحسب، بل كان مفكرًا سياسيًا أيضًا، وكانت مشاركاته العامة –وبخاصة خلال السنوات الأخيرة من عمره– قد دفعته إلى أن يصبح في أواخر التسعينيات، المفكر البارز الرئيس لهيئة علم الاجتماع، على رأس حركة مقاومة العولمة في فرنسا والدول الأوروبية الغربية الأخرى. (سكوت،٢٠٠٧، ص١١٠–١١١)

كما قام بورديو بتجميع فريق بحثي يركز على القوة الرمزية، وعدم المساواة الاجتماعية في أوسع مظاهرها، بعد السبعينيات، تناول بورديو مجموعة متنوعة من المواضيع التجريبية (التي تشمل الفن والطقوس والقرابة والدين والعلوم والمثقفين واللغة والطبقات الاجتماعية والمؤسسات السياسية، في جملة أمور)، مع تطوير نموذجه الخاص، والبحث عن طريق للخروج من والمعارضة بين الموضوعية البنيوية والبنائية الموضوعية، الأولى المقترحة في الخطوط العريضة لنظرية الممارسة، ثم توسع أبحاثه ليشمل الدولة، والسيطرة على الجنس، والأسس الاجتماعية للاقتصاد، وتجربة المعاناة الاجتماعية في المجتمع المعاصر، تناول بورديو قضايا اجتماعية بارزة، كما هو الحال في وزن العالم (١٩٩٩)، وعمق إعادة التفكير في المنطق المميز للممارسة والمعضلات المعرفية للتحقيق الاجتماعي في تأملات باسكاليان (٢٠٠٠). وأصبح شخصية عامة رائدة في التعبئة العالمية ضد النيوليبرالية، في حين اكتسب عمله نفوذًا دوليًا عبر العلوم الاجتماعية والإنسانية، في وقت وفاته المفاجئة في عام ٢٠٠٢، كان يعمل على "نظرية عامة للمجالات"الحقول"(Ollion, Nov2012)

وختامًا يعد بيير بورديو ظاهرة متميزة في علم الاجتماع الفرنسي والغربي عامة، فانتمى إلى الجيل الذي أتى لكي يحدث القطيعة المعرفية مع الفينومينولوجيا الوجودية على الطريقة السارترية وتحول إلى الأبستمولوجيا وفلسفة المصطلح والعلوم الإنسانية، وفي الواقع لكي نفهم

عقلية هذا الجيل المسيطر على الساحة الثقافية الفرنسية فإنه يلزم أن نأخذ بعين الاعتبار وجود تيارين عريضين كانا قد سيطرا على الساحة:

- التيار الوجودي:

ويمثله سارتر ومارلوبونتي، كان هذا التيار مهووسا بالبحث عن المعنى، معنى الظواهر والوجود، وكان منغمسا في السياسة من أعلى رأسه إلى أخمص قدميه كانت تلك هي الفترة الى ازدهرت فيها فلسفة الذات والحرية والالتزام والثورة.

- التيار الإبستمولوجي:

الذى يمثله في فرنسا غاستون باشلار واليكسندر كويرى وخليفتهما جورج كانغليم، وقد ركز هؤلاء على أهمية المصطلح والمفهوم والعقلانية وفلسفة العلوم : أي ما يسمى بشكل عام بالمنهجية الابستمولوجية، كان هذا التيار يبدو، ظاهريا، بعيدا عن السياسة وهمومها بالمعنى المباشر للكلمة، ولكنه في الواقع كان أكثر تأثيرا على المدى البعيد، وهو الذى انتصر في النهاية واثار موجة العلوم الإنسانية التي نشهدها اليوم .(درويش، ٢٠٠١،ص١٢)

ـ أهم مؤلفاته:

١. التميز : نقد اجتماعي لحكم الذوق .
٢. الخطوط العريضة لنظرية الممارسة.
٣. اللغة والسلطة الرمزية .
٤. على التلفاز .
٥. الهيمنة الذكورية .
٦. مجال الإنتاج الثقافي.
٧. منطق الممارسة.
٨. دعوة لعلم الاجتماع الانعكاسي.
٩. قواعد الفن.
١٠. إعادة الإنتاج في مجال التعليم \ المجتمع \ الثقافة.

(https://www.goodreads.com/author/.Pierre_ Bourdieu)

ثانياً : الاتجاه النقدي والأدوات النقدية لبيير بورديو (النظرية والمنهجية)

١ .الاتجاه النقدي

أعمال بورديو جميعها قد بنيت كرد فعل على اثنين من التيارات الفكرية؛ هما الوجودية و البنائية.

وكان قد اهتم بالتغلب على التناقض بين التأكيد الموضوعي لوعي الفرد وبين الاهتمام بالبناءات الاجتماعية، حيث يحرص بشكل واضح على أن يبعد نفسه عن ما استحوذ من أفكار سائدة، فضلاً عن رفضه "للنزعة الإنسانية الناعمة" للوجودية سارتر. **(Wolfreys,sum 2000)**

فسرعان ما نشأ رفض (عدم قبول) لوجودية سارتر –كمعتقد سائد– ينجذب نحو التصورات الفلسفية لأعمال علماء المعرفة من أمثال **gaston bachelard –** **jules vuillemin&georges canguil** وكذلك نحو الظواهريين **Maurice Merleau-Ponty &Edmund Husserl**

خاصه أن سارتر رفض الاعتراف بأي شي يشبه التصرفات الدائمة، ويجعل كل فعل نوعًا من المواجهة غير المسبوقه بين الموضوع والعالم. **(Wacquant,May2006,p1)**

فتح لنا بيير بورديو كباحث في الجانب النظري الطريق لفهم ثقافة ما بعد الحداثة. **(Dillon,Nov2001,P425)**

وكما جاء على لسان بورديو: إذا كان يمكن أن يميز عملي بلفظتين (..) فأستكلم عن البنائية البنيوية أو البنيوية البنائية..... "أريد القول إن البنيوية أو البنائية توجد في العالم الاجتماعي نفسه وليس فقط في الأنساق الرمزية واللغة والأسطورة .إلخ ..... بنيات موضوعية مستقلة عن وعي وإرادة الفاعلين القادرين على توجيه أو كتب ممارستهم، "أريد القول إنه يوجد عبر البنائية

تكون اجتماعي لجزء من أنظمة الإدراك والفكرة والفعل المؤلفة لما أسميه الهابيتوس، ومن ناحية أخرى لبنيات اجتماعية، وبالأخص ما أسميه حقولا. (شوفالييه، ٢٠١٣، ص٥٩-٦٠)

تتميز السوسيولوجيا عند بيير بورديو بالطابع العلمي المنطقي، والابتعاد عما هو سياسي وأيديولوجي، ودراسة العنف الرمزي وفق مقاربات علمية دقيقة وصارمة، دون إدخال ما هو شخصي وسياسي في البحث العلمي. ويعني هذا أن بورديو يدعو إلى تأسيس سوسيولوجيا علمية.

(جميل حمداوي، ٧ \ ٣١ \ ٢٠١٥)

ويرى بورديو أن النقد الاجتماعي لابد وأن يصاحب النقد الأبستيمولوجي. (بورديو ،١٩٨٦،ص٩)

وفيما يخص تصوره للفعل الاجتماعي والبناء والمعرفة وإصراره على أحادية التصور أو ثنائيته، فلقد سعى جاهدًا فى تصوراته لإبطال أو حل تلك التناقضات التي حددت خطوطًا دائمة من النقاش في العلوم الاجتماعية بين الذاتية والموضوعية في تناول النظريات، وبين الأبعاد المادية والرمزية للحياة الاجتماعية، وكذلك بين التفسير والتأويل التاريخي والتزامني، وبين مستويات التحليل الصغرى أو الكبرى . (**Wacquant ,May2006, p3-4)**

٢.أدواته المنهجية:

كان عادة ما يجمع بيير بورديو بين دمج الأساليب الإحصائية والملاحظة المباشرة، وتفسير التفاعل، والخطاب، والوثائق.

وهناك ثلاثة مبادئ ترتبط ارتباطا وثيقا بالتوجه المنهجي لبورديو:

الأول: يمكن أن يسمى بالإيمان المنهجي لنشر استخدام أي إجراء من الملاحظة والتحقق، هو الأنسب للمسألة المطروحة إلى جانب مواجهة النتائج التي تنتجها الأساليب المنهجية المختلفة باستمرار، علي سبيل المثال في **Nobilty**، عام (١٩٩٨\ ١٩٩٦) كان بورديو يجمع بين النتائج التي توصل إليها من خلال تحليلات آتية من المسح الاجتماعي، إلى جانب النتائج الأرشيفية للاتجاهات التاريخية والتصوير الفوتوغرافي، والخطاب، وتحليل الوثائق، المقابلات الميدانية، الوصف الإثنوغرافي للكشف عن كيفية مساهمة النخبة المتعلمة في ترسيخ انقسام العمال الكادحين لهيمنة من الطبقة الحاكمة.

أما المبدأ الثاني: يفرض علينا التسليم المعرفي لجميع ما نطبقه من مصادر للجمع بين تصميم الاستبيانات على تحديد (السكان والعينات والمتغيرات، وبناء الترميز، وإجراء المقابلات، والملاحظات) وكل عمل من البحوث، للوصول إلى أساس وجوهر تشارك فيها كل الأطر النظرية التي يسترشد بها، مما يحقق الاندماج الحقيقي بين النظرية والمنهج.

أما المبدأ الثالث الذي يتبعه بورديو هو مبدأ الانعكاسية المنهجية (الانعكاس المنهجي) الذي يقيس الإستفاراتنا كمنهج ذاتي في نفس الاتجاه الذي يطبق فيه كإجابة لأنفسننا باعتبارها طريقة هي نفسها توجه نشاطاتنا إلى حد بعيد لما نحققه ونفذه.

(Wacquant,May2006,p3-4)

فضلا على أن بورديو كان يستخدم التحليل القصصي للكشف وإزالة الغموض.

(Schinkel,2003)

٣.أدواته النظرية :

٣ . ١المفاهيم :

- **رأس المال:**

ولقد وضح بورديو رأس المال على أنه جهد متراكم يمكن القوى الاجتماعية من ملاءمة النشاط الاجتماعي في تكوين عمل مادي وحياتي، ورأس المال عنده يغير العالم الاجتماعي من كونه لعبة بسيطة من الفرص إلى تحسين ذات الفرد وتغييره من خلال ما يمتلكه من ميزات تراكمية \وراثية \مكتسبة، وقسم بورديو رأس المال إلى:

- رأس المال الاقتصادي

وهو رأس مال بمعناه الماركسي، فالأشخاص الذين لديهم سيطرة أكبر على وسائل الإنتاج لديهم حظ أكبر من رأس المال الاقتصادي، ولكنه رأى أن رأس المال قد أخذ أشكالاً رمزية وهي

- رأس المال الرمزي:

يتكون من درجات رمزية مثل الشرف والهيبة، يشير بورديو لهذا النوع من رأس المال لكونه يعد في شكل متحول أو متنكر من رأس المال الاقتصادي المادي؛ لأنه يحجب ارتباطه بالمادة.

(**Dwilley,2016,P127**)

- رأس المال الاجتماعى Social Capital

هو مجموع الموارد الفعلية أو المحتملة التي ترتبط بحيازة شبكة دائمة من علاقات، والتعارف المتبادل، والاعتبار العضوي لجماعة تنص على كل أعضائها بدعم رأس المال المملوك اجتماعيًا . و الاعتماد فيهم بينهم . **(Bourdieu,nd,p21)**

- رأس المال الثقافى Culture Capital

لقد طُرِح مفهوم رأس المال الثقافي لأول مرة عام ١٩٨٤ من قبل بورديو، باعتباره الرصيد وما نمتلكه وندركه من خلال حواسنا من (آثار \ مكتبات \ قاعة الحفلات الموسيقية والمواقع الثقافية وما إلى ذلك) وقد يكون له ميزات اجتماعية قبل كل شيء، بحيث يكون مصدرًا للاقتصاد والتنمية فضلاً عن تنمية رأس المال الثقافي للفرد نفسه.**(Saraceno,Oct 2014,p2)**

ورأس المال الثقافي ما هو إلا مجموعة من (المعرفة الثقافية \ المهارات \ الخبرات \ القدرات \ المهارة اللغوية \ أسلوب الكلام \ المفردات \ أنماط الفكر \ المعرفة الواقعية \ ووجهات النظر الدنيوية). **(Allen &Anderso,1994)**

- **الهابيتوس : Habitus**

مفهوم العادات (الطبع الاجتماعي) يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالبناءات الاجتماعية في مجال معين، وهو أمر ضروري للتحليل الاجتماعي للمجتمع، وفي الواقع وطبقًا لتصورات بورديو يعد الهابيتوس مفهومًا اجتماعيًا كونه يتسم بالبقاء الاجتماعي وكيف يدركه الآخرون.

وعرف بورديو الهابيتوس بأنه " بناء هيكلي ينظم الممارسات وكيفية إدراك تلك الممارسات" ـ حيث يعد نظامًا معرفيًا \ عقليًا من البناءات، والتى تكون راسخة داخل الأفراد أو الوعي الجماعي، والتى تكون عادة من خلال رموز داخلية للبناءات الخارجية.

يتكون الهابيتوس عادة من أفكارنا \ أذواقنا، فضلاً عن معتقداتنا واهتمامتنا، وفهم العالم المحيط، وينشأ من خلال التنشئة الاجتماعية كالأسرة والثقافة وما يحيطنا من التعليم .

ووفقًا لبورديو يعد الهابيتوس لديه القدرة على التأثير على تصرفاتنا وبناء العالم الاجتماعي فضلاً عن كونه يؤثر على عالمنا الخارجي. **(Outline the concepts of habitus and social field in Bourdieu's Sociology. How valuable are these concepts for the sociological analysis of social life?.nd)**

- **المجال Field**

يعرف المجال بأنه شبكة أو صور من العلاقات الموضوعية بين مراكز اجتماعية موضوعية تحدد من خلال بقائها وقراراتها التي تفرضها على من لا يملكون شيئًا \ يملكون قوة أو قانونًا بواسطة وضعهم الحالي والقوي .. في بناء من توزيع السلطة (المجال)، أي الذين يمتلكون السلطة وصولا إلى منفعة خاصة، الذي يسند في هذا المجال، إضافة إلى علاقتها الموضوعية بالمراكز الأخرى.

- التدرج الاجتماعي**Social Stratification**

جاء **Weber** ليؤكد أن بورديو يرى التدرج الاجتماعي باعتباره البناء النظري الذي يمنح للفرد ويشكل ميزة لرغبته في أن يكون ضمن الناس الذين لديهم ظروف اجتماعية ومادية مماثلة للحياة. (**Tabb,nd,p2**)

٢-٣ القضايا التي تناولها بيير بورديو من خلال إطار المفهومات السالف ذكرها

- **رأس المال الثقافي والطبقة الاجتماعية**

ورأس المال الثقافي في رأيه هو الفضاء الاجتماعي الذي يجري فيه تسارع في القوة، ويتم إنتاج الطبقات الاجتماعية ونقلها عبر الأجيال، بالتفاعل مع رأس المال الاقتصادي. وقد أكد مؤلفون آخرون، دون أن يشتركوا بالضرورة مع وجهة نظر بورديو القائمة على الصراع، أن تعليم

الوالدين له تأثير على أداء أبنائهم التعليمي، ونوع الثقافة (استخدام اللغة والأذواق وطرق المشاركة الثقافية وما إلى ذلك) والتنشئة الاجتماعية الثانوية لها تأثير حاسم على الخيارات والحصيلة المهنية) (Saraceno, Oct 2014,p2)

فضلاً عن أن رأس المال الثقافي يتم الحصول عليه بشكل غير منقطع النظير عن طريق الطبقة الاجتماعية والحي والثقافة الفرعية، وما إلى ذلك. وعلاوة على ذلك، (مثل المدارس والكنائس ونظم الرعاية الاجتماعية والموائد السرية، وما إلى ذلك) التي يتعرض لها الشخص من مكان ميلاده ونشأته. (Allen&Anderson,1994)

- **الهابيتوس والمجال**

يتواجد كل من الهابيتوس والمجال في ضوء علاقة كل منهما بالآخر، فالهابيتوس لا معنى له إلا من خلال المجال، فكل من الهابيتوس والمجال لديهم القدرة على تحديد الفعل الاجتماعي من خلال الجمع بين البناءات العقلية والبناءات الاجتماعية لتوليد الممارسة.. (wacquant,2006,p8)

فتتجلى تلك العلاقة خاصة مع تأكيد بورديو أن المكانة الاجتماعية كعامل قوة يأتي نتيجة التفاعل بين الهابيتوس ومركزه في هذا المجال. (Tabb,nd,p2)

- **رأس المال الرمزي والهابيتوس:**

فيرى بورديو بقدر ما هو معلن رمزيًا في العلاقات من مجموع المعارف الإنسانية، ومدرك تمامًا بالإقرار به أو عدم الإقرار به، يفترض مسبقًا أن تدخل فيه الهابيتوس (العادات) كتكوين اجتماعي ضمن الإدراكات التي يستوعبها الفرد.(Dwilley,2016,P127)

٣-٣ أهم الظواهر التى تناولها بيير بورديو بالنقـد.

الظاهرة الأولى: نظام التعليم

وكانت نظرية بورديو لإعادة الإنتاج الثقافي، مؤثرة لغاية . وقد ولدت كثير من الأدبيات النظرية والتجريبية.

وتهتم تلك النظرية بالصلة بين الأعضاء الأصليين داخل الطبقة وأعضاء الطبقة التي وصلوا لها في النهاية، وكيفية ربط هذه الصلة باحتلال موقع بنظام التعليم.

ووفقًا لبورديو، فإن نظام التعليم في المجتمعات الصناعية يسير في اتجاه مشروعية عدم المساواة في التدرج الطبقى ، حيث تساعد الشهادات التعليمية على إعادة إنتاج وشرعية الفوارق الاجتماعية، حيث ينظر إلى الأفراد من الطبقة العليا على أنهم يستحقون مكانهم في البناء الاجتماعي.

ويدعي بورديو أنه بما أن نظام التعليم يفترض امتلاك رأس المال الثقافي الذي لا يملكه سوى عدد قليل من الطلاب، فإن هناك قدرًا كبيرًا من عدم الكفاءة في النقل التربوي (أي التعليم)، وذلك ببساطة لأن الطلاب لايفهمون ما يحاول المدرسون تحصيله لهم من جانب آخر.

فأكد بورديو في هذا الصدد أن التفاوت الاجتماعي يضفي عليه الشرعية من خلال الشهادات التعليمية التي يتمتع بها أولئك الذين يشغلون مناصب مهيمنة، وهذا يعني أن نظام التعليم له دور رئيسي في بقاء الوضع كما هو عليه(Sullivan ,Jan 2002, P145)

ويتجلى هذا فى الدول النامية حيث تكون أهداف الضمنية لنظام التعليم بها تخدم الطبقة العليا المهيمنة مما يجعل أبناء تلك الطبقة أطفالا ناجحين دراسيا، أما أبناء الطبقة الدنيا فيكون مصيرهم هو الفشل،، خاصه أن ثقافة الطبقة المهيمنة، تكرس الاستغلال و السلطة التعسفية لهذه الطبقة داخل الحقل التربوي.

الظاهرة الثانية تبادل الهدايا:

رأي بورديو أن التقدير الاجتماعي هو مفتاح للحفاظ على العلاقات الاجتماعية، واستند في دراسته المبكرة للمجتمع الجزائري (١٩٦٢) إلى أن تبادل الهدايا على سبيل المثال يعد ممارسة اجتماعية متفاوض عليها، تستند إلى قواعد على أساس الاتفاق الضمني المشترك لكافة المعاني التي تحمل العطاء والتلقي.

فعلى الرغم من أن تبادل الهدايا ينشئ نوعًا من التماسك أو التضامن فيما بين الطرفين، اهتم بورديو كثيرًا بالطريقة التي تحافظ على عملية التبادل بشكل خاص باعتبارها مجموعة من العلاقات الاجتماعية بين الأشخاص .كما ذكر بورديو أن تلك الممارسات دائمًا المصاحبة لتبادل الهدايا لها حقائق مزدوجة، فقد يكون تبادل الهدايا دون اهتمام أو يكون فعلاً لدَين الآخر والتباهي بذلك.

وهذا الالتباس يمكن العلاقات من الاستمرار مع الوقت، إلا أن المنطق الكامن وراء تبادل الهدايا لم يكن واضحًا في كثير من الأحيان . وأنه مع تفسير وشرح المنطق من وراء تبادل الهدايا قد ينتهك في الواقع أجل العلاقة ومنطق الشرف نتيجة للاستغلال الذي يحكمها.

ومن هنا أصبح من الضروري تحريمها مقابل أن تكون المسائل واضحة، فالتواطؤ الصامت بين المشاركين حول حقيقة تبادل الهدايا لاستمرار بقاء العلاقات أصبح واضحًا طبقًا لما وصفه بورديو عام (١٩٩٨) من خلال ما سماه بالخداع الذاتي أو المصالح الشخصية، وهذا الخداع ليس إلا حالة فردية أو نفسية، ولكنه مبني اجتماعيًا، حيث ناقش بورديو بناء النظم الموضوعية لمنطق الشرف الذي يحكم جميع التبادلات. (Dillon,Nov2001,P413)

الظاهرة الثالثة: الهيمنة الذكورية

جاء تصور بورديو عن الهيمنة الذكورية كمجلد يعيد فيه النظر إلى المبادئ الجنسية، وذلك أثناء دراسته للمجتمع القبلي . والذي أشار فيه إلى كيفية إعادة إنتاج القوة.

فالمساحة المكرس لها الجنس هي بالنسبة لبورديو سواء من حيث الشكل أو الموضع لطبيعة الهيمنة (الذكورية) وسيلة لتشكيل عادات الهابيتوس التي تسمح لنا بالعمل في جميع المجالات.

فابتداءً من هيمنته، وهو يكتسب الاستثمار في الفضاء المكرس له، والذي يعد جزءًا من عملية معقدة من التنشئة الاجتماعية للجنس، مع إضفاء الطابع الجنسي الاجتماعي في آرائه.

ومن هنا يتضح أن هناك رغبة للاعتراف فى الواقع بالهيمنة من قبل الرجال، وذلك من خلال بناء السلطة الجنسية له .

فالنظام الاجتماعي كما يوثق بورديو في كتاباته ما هو إلا آلة رمزية هائلة تصدق على الهيمنة الذكورية التي تأسست عليها . فلقد رسم بورديو نظامًا ماديًا أو جسديًا عبر التاريخ يعد سمة لعلاقات القوة بين الرجال والنساء في أجسادهم. (Friedland, 2009, p 894 -895)

ورأى ان الهيمنه الذكورية تعد نموذج للعنف الرمزي و هو العنف اللطيف الغير مرئي لضحاياه ولا يمكن الكشف عنه، والذي يمارس من خلال أدوات رمزية فقط أو علي نحو ادق من خلال الاعتراف أو الإنكار، أو حتى من خلال الوجدان .(Wacquant, May2006,p4-5)

الظاهرة الرابعة : رأس المال الديني

انتقل بورديو أيضًا إلى التحليل المتصل بالدين، كما في مجالات أخرى، ولاحظ أن ما يميزنا من ممارسات ومعتقدات دينية في أي سياق معين يمكن أن يكون مختلفًا تمامًا عن المحتوى الأصلي لرسالة الدين، ويمكن أن يكون مفهومًا فقط في السند أو المرجع لاستكمال البناء في علاقات الإنتاج وإعادة الإنتاج والتداول وتحديد الرسالة وتاريخ هذا البناء.

ولكن على الرغم من الحساسية العميقة للدينامية المتصلة بالدين، تبنى بورديو وجهة نظر قاطعة لإنتاج رأس المال الديني، وكان إطار عمل بورديو حول رجال الدين أو المسئولين على الكنائس باعتبارهم حاملين للكفاءات اللازمة للإنتاج أو إعادة الإنتاج . والتي حددها في إطار مجموعة منظمة من الأفكار غير المعلن عنها والتى تكون عادة نادرة البيان. (Dillon, Nov 2001, p 415)

الظاهرة الخامسة: التلفزيون وآثاره على العقول:

يعتقد بورديو أن التلفزيون يشكل خطرًا جسيمًا على جميع مجالات الإنتاج الثقافي . الفن . الأدب، والعلوم والفلسفة والقانون، وما هو أكثر من ذلك على الصحفيين . الذين لديهم مسئوليات أكثر ليعبروا عن ما يفكرون به.

وليس تجنيا، يعتقد بورديو أن التلفزيون لا يشكل تهديدًا للحياة السياسة فحسب، بل على الممارسة الديمقراطية نفسها.

وبتحليل هذا الادعاء على وجه التحديد نحلل كيف يهدف التلفزيون إلى حشد أكبر جمهور ممكن، جنبا إلى جنب مع الصحافة المطبوعة، فقد يظهر الأفراد الذين يدلون بتصرحيات عنصرية عدائية.

كما أشار إلى أن استقلالية الخطاب التحليلي والناقد في الولايات المتحدة لا تسمح لأحد أن يتحدث أكثر من ٧ ثوان خاصة في المناقشات السياسية والمحاضرات التوعوية العامة الكبيرة.

وبعد ذلك انتقد أنماط السلطة والامتيازات الراسخة فضلاً عن السياسات التي تدعمها.

ودعم تلك الانتقادات من خلال بحثه النقدي كتبرير تفسيري للعمليات المتعددة التي تخفي النظام الاجتماعي واستبداده، والذي خلده لنفسه عن طريق ابتزاز من يخضعون له من ممارسات مقبولة ومستحسنة إذا لم يكونوا راغبين فيها، توجد على من يملكون السلطة كنتيجة للعنف الرمزي من خلال فرض أنظمة خفية وإضفاء الشرعية عليها، ومن ثم ترسيخ بناءات من عدم المساواة.

كما جاءت ضمن تصورات بورديو فيما يخص الحقل الصحفي "ينتج الحقل الصحفي ويفرض على الجمهور رؤية خاصة جدًا للمجال السياسي، تلك الرؤية التي ترتكز على بنية المجال الصحفي ذاته، وفي الاهتمامات الخاصة للصحفيين المنتجة بواسطة ذلك الحقل.

(Bourdieu,1998,p2)

الظاهرة السادسة: النقد المنهجي في علم الاجتماع:

هناك واحدة من المبادئ الرئيسية لنظرية إصراره على أن علماء الاجتماع يجب أن يتبنوا المنهج العلائقي بدلاً من المنهج الموضوعي .

في كتاباته عن العقل العملي، يصف بورديو ما أعتقد أنه ضروري للغاية في عملي للإشارة إلى نوعين من الخصائص الأساسية، فلسفة محددة للفعل (المنصوص عليها في مجموعته

المترابطة من المفاهيم (الحقل – رأس المال – العادات) وأيضًا فلسفة معينة من العلوم يمكن للمرء أن يدعو العلائقية في أنه يعطي الأولوية للعلاقات.

ويوضح بورديو المعارضة التي اقترحها أرسنت كاسيريرين بين المفاهيم الجوهرية والمفاهيم الوظيفية أو العلائقية.

ووفقًا لبورديو فإن النهج الجوهري غيّر الأمور بدلاً من العلاقات، مثل ذلك يميل إلى تجسيد النظام الاجتماعي، وإضفاء الطابع المؤسسي على الظواهر الاجتماعية.

في المقابل يحتل بورديو المثل الأعلى عند تحليله العقلائية، فمن المبادئ الأساسية للعلاقة وضح بورديو أن الأشياء قيد التحقيق ينظر إليها في السياق كجزء من الكل.

ولم يتم تحديد جديتها من خلال السمات المميزة أو جوهر الأشياء للشيء نفسه، بل الأحرى بالإشارة إلى مجال الأشياء أو الممارسات أو الأنشطة التي تكون جزءًا لا يتجزأ منها .

(F. Dépelteau et al,2013,p101)

- **<u>الظاهرة السابعة: نقد بورديو للفينومينولوجيا</u>**

قدم بورديو تحليلاً نقديًا شاملا لكل من التقاليد الذاتية والموضوعية في الفلسفة والعلوم الاجتماعية، حيث كان يهدف إلى سد الفجوات بين هاتين الطريقتين في التفكير وتصحيح الأخطاء المتأصلة فيها، فبالنسبة له، لا الذاتية (التي أيدها في المقام الأول الفينومينولوجيون) ولا الموضوعية (أفضل مثال لها الأنثروبولوجيا البنيوية لدى ليفي شتراوس) تقدم تفسيرًا كافيًا للفعل الاجتماعي، حيث تركز الذاتية –وفقًا لبورديو– بشكل كبير جدًا على التجربة المباشرة للفرد وتفسيراته الخاصه للعالم الاجتماعي.

ومن ناحية أخرى ترفض الموضوعية تفسير تصرفات الأفراد الفاعلين، وبدلاً من ذلك تحيلهم إلى الإطار الاجتماعي الذي يعملون ضمنه كالآلات الافتراضية، مقيدين بالعلاقات الموضوعية للبنية الاجتماعية، ومن خلال دمج هذين التقليدين، يزعم أن بورديو يسمح للهابيتوس بشرح التجربة الفردية مع الاحتفاظ بنظرة إلى العالم كمجموعة من البناءات الموضوعية المتصلبة نسبيًا.

وقد استخدم بورديو مصطلح **Doxa** لوصف معتقدات الفرد على أنها تطابق شبه كامل بين النظام الموضوعي والمبادئ الذاتية للتنظيم، التي يظهر بها العالم الطبيعي والاجتماعي كشيء بديهي، فإنها تمثل تجربة الإحساس بالواقع، وبعبارة أخرى، هي العملية التي من خلالها يتم قبول طرق الإدراك والتقييم والتصرف اجتماعيًا وثقافيًا على أنها طرق غير مشكوك فيها وواضحة ومسلّمة أي طبيعية، فمن وجهة نظر بورديو فإن مجال **Doxa** مبني على مدى التوافق بين البناءات الموضوعية وتطبع البناءات الذاتية في الهابيتوس.

وأخيرًا اتهم بورديو الفينومينولوجيا بنسيان البحث في الظروف الخاصة التي تجعل تجربة **DOXIC** للعالم الاجتماعي ممكنة.

كما اتهم بورديو علماء الظواهر بتجاهل ما يعتقد أنه حقيقة، إنه لا يمكن أبدًا أن تكون هناك ممارسات غير اقتصادية أو غير مبالية، فمن وجهة نظره حتى المسعى الفينومينولوجي نفسه يجب أن يُفهم في سياق مجال مكون من رأس المال الرمزى والمصلحة الاقتصادية.

(Throop & Murphy, 2002, P188-190)

لقد تناول بورديو ظواهر عدة يصعب على هذه الورقة البحثية الإلمام بها، حيث كان قد قدّم تصوراته أيضًا عن التربية فضلاً عن تصوره عن الثقافة خاصة في الفن والذوق، وتصوراته عن الدولة

فكان بورديو وباسرون، فيما يتعلق بالعمل التربوي، أنه يشمل أكثر من عملية رسمية (والذي يحدد نظامًا اعتباطيًا في الواقع، وإن لم يكن في ظاهره، يشكل أساس القوة من خلال السلطة الاستبدادية.

وتم توسيع تصوره للعمل التربوي في سلسلة من المقترحات، ولعل أهم هذه التصورات:

إعادة الثقافة من خلال العمل التربوي يؤدي إلى إعادة الإنتاج للنظام الاجتماعي كله (التكريس الاجتماعي)، والذي يعاني من الطابع الاستبدادي، هناك ثقافة استبدادية ليس فقط في مضمونها بل أيضًا في شكلها؛ لأنها تفرضها سلطة استبدادية، لا تُستمد من المبادئ العامة لإنتاج الفكر.

فجاء في تصوره "كتابه عن التميز": إظهار كيف أن الفن والاستهلاك الثقافي يخدمان الفروق الاجتماعية الحقيقية، فبمزيد من الحياة يتم الهيمنة عليها بصفة عامة & **Bourdieu**) **Passeron , 1990. p xv - xvi)**

فالأذواق الثقافية تميل أكثر إلى أن تتسم بالرغبة في النزول إلى الأرض للتمتع بالطبيعة، وذلك على نقيض الجمالية البراجوزية واستخدامها لأشكال منمقة، تعكس الميل إلى الابتعاد عن الحفلات الرسمية والرتابة . (Wolfreys, sum2000)

كما جاءت تصورات بورديو عن الدولة على النحو التالي:

جاءت تاملات بورديو بِشان الدولة بالغة الأهمية؛ لأنها تحدد الموقف الميتافيزيقي للدولة، وتعد محورًا لتنظيم الحياة الاجتماعية بشكل عام.

ووفقا لبورديو، يمكن اعتبار الدولة "مبدأً أرثوذكسيا" خاصة أنه انحرف عن النزعة الماركسية إلى الأداتية **Instrumentalism** التي تحول الدولة إلى أداة للسلطة الطبقية.

فالبنسبة له، تعني استقلالية الدولة لديه أن الدولة –على الرغم من ارتباطها المباشر بإعادة وإنتاج علاقات الهيمنة– لها منطقها الخاص الذي لا يمكن اختزاله بمصطلحات مادية بحتة.

حيث أشار بورديو إلى وصف دوركهايم عند مناقشته للدين، بأن الدولة هي "الخيال الجماعي" أو "الوهم الراسخ".

فأكد أن الدولة يمكن أن تقوم من خلال ضمان وجود اتفاق جماعي على معنى "العالم"، لأن الدولة تمثل الخيال الجماعي المشترك، مع اعترافه بالطابع الديني الدوركايمي للدولة.

ووضح بورديو أنه يعمل وفقًا لتقليد كانط الجديد، الذي اعتبره دوركهايم اجتماعيًا ومشبعًا بالطابع الأسطوري الخيالي للرمز الذى أكد عليه **cassires**.

على هذا النحو فإن للدولة خاصيتين؛ أنّ لها وجودًا خياليًا، كما أن لها وظيفة توفير الإجماع النهائي فيما يتعلق بالنظام الرمزي للعالم الاجتماعي.

كلا النقطتين تفسران أيضًا حذر بورديو عند تحليله للدولة، فسرعان ما يتم فقدان الطابع الوهمي للدولة في تجسيد الدولة، حيث إن وظيفة الدولة لديه هي تقديم الإجماع المشترك.

لذلك يجادل بورديو من أجل فهم الدولة، يجب على المرء أن يرى أن لها وظيفة رمزية، والرمزية بالنسبة لبورديو هي عالم الهيمنة. **(Schinkel,2015, P215-216)**

رابعًا: أهم الفروقات التي تميز بها بورديو مع عرض الانتقادات التي وجهت له:

١. اهم الفروقات التي تميز عمل بورديو:

قدّم لنا بورديو من خلال مسيرته الفكرية والنضالية أدوات لفهم الصراع الذي نشهده اليوم بين مصالح متداخلة وشديدة التعقيد، خاصة عندما اتخذ بورديو من السوسيولوجيا أداة لنقد النظام الرأسمالي، وفضح مؤسساته الإيديولوجية القائمة على الهيمنة والسيطرة وإخضاع الآخرين.

كما طرح بورديو أسلوبًا جديدًا في الفهم، أو نمطًا جديدًا من التفكير، عاملاً على نقل السوسيولوجيا من مستواها النظري إلى مستوى التحليل الملموس.

حيث تعد كتابات بورديو من أكثر المتون إبداعًا وخصوبة في النظرية والبحث المتعلقين بالسوسيولوجيا لفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، فقد استطاع أن ينفتح على مجالات معرفية متعددة؛ كالأنثروبولوجيا والسوسيولوجيا والإثنولوجيا والتربية والتاريخ واللسانيات والسياسة والاقتصاد والفن والإعلام... وقد زاوج في مشاريعه بين السير الميداني والتنظير النقدي، وهذا ما يعبر عنه بقوله: "النظرية بدون بحث أمبريقي خواء، والبحث الأمبريقي بدون نظرية هراء".(على و أحمد، ٢٠١٦،ص٤٥)

٢. أهم الانتقادات التي وجهت لبيير بورديو والتي تقسم على النحو التالي:

أ. الانتقادات الأيديولوجية

رغم تقديم بورديو القضايا المهمة التي أعطت للعلوم الاجتماعية تصورات مميزة، فعلى الرغم من أنه قدم عناصر ذات أهمية تاريخية ومترابطة بالعلم الاجتماعي وخاصة سوسيولوجيته البنيوية من الممارسة. (Warde , 2002 ,p1005)

إلا أن مضمون سوسيولوجيته عن البنيوية لم يعطِ للإنسان مكانة خاصة في العالم الاجتماعي، فالإنسان ليس شيئًا ولا معنى له خارج نطاق البنية والتفاعل البنيوي.

فبدراسة النقد الأيديولوجي يتضح أن بناء المجتمع لا يمكن تصوره دون إنسان.

كما أن التحليل النقدي لأيديولوجية بيير بورديو أمر وسطي جاء لفهم شامل لأشكال معقدة من الهيمنة الاجتماعية التي لا تزال في حاجة لتناقش على نطاق واسع في العلوم الإنسانية والاجتماعية. (Susen , 2014 , p109 -110)

إضافة إلى ذلك فبورديو كان يرسم فلسفة سلبية تشكك في كثير من الافتراضات الأساسية المهمة للفكر الاجتماعي "كعرضه لمادته الخاصة" التي كان يعرضها بحرية، وأكثر وعيًا لذاته . حيث كان مادنا فكريًا لفكر وعقيدة عدد من الفلاسفة **Wittgenstein, Austin, Dewey, and Peirce** مما أدى إلى الحاجة لتجديد التساؤلات التقليدية لعدد من المفاهيم (العنف \ القوة \ الزمن \ الإنتاج \ العالمية \ الهدف واتجاهه للوجودية.

(The preveiw book : peirre Bourdieu ,Pascalian Meditations ,nd).

ب . الانتقادات المنهجية

كما انتقده **warde** في أن بورديو لم يكن متجددًا عند تقديم تصوره للممارسة، خاصة أن مستوى التحليل لديه توقف فيها بورديو عند مستويات التحليل الصغرى **micro level** **(Musofer, 2018)**

وحتى اقتراحه للدراسات التجريبية الذي قدمه عام (١٩٨٧) باعتباره باحث أنثروبولوجيا تم انتقاده، فطور بورديو (١٩٨٧) نظريته التي تسمى " البنيوية البنائية " وبناء على ذلك فإن المنهجية التي كان يستخدمها كان حديثه فيها غير منظم على الإطلاق.

ويبدو أن توضيح منهجية بورديو تتبع نهجًا استنتاجيًا، عندما يفترض أن الباحث ينبغي أن يكون لديه أفكار واضحة مسبقًا حول الموضوع، ومع ذلك فإنه تجاهل موضوعية (هدف) الدراسة، كما أن المقابلات ليست دائمًا المنهجية الأنسب، وقد تفرض منهجية محددة على الباحثين فتضع الباحث بين الأقواس، أي تحد من مرونة الباحث.. **(Kort & Gharbi , May 2013, p93).**

ج. الانتقادات النظرية

أحد الانتقادات التي جاءت لبورديو حول مفاهيمه هو أنه أعطى الكثير من التركيز لفكرة "إعادة الإنتاج" وهذا يتماشى مع حجة بورديو أن العادات تعلم قواعد اللعبة، وتعيد إنتاج البناء الذي هو ينتجه. فعلى سبيل المثال، إذا كانت ممثلة في مجتمع معين، وتؤدي طقوسًا لفترة طويلة لتصبح طبعًا، فإنها تعيد بناءها، ولذلك فإن العادة وبناء الحقل يكون في حلقة دائرية، وهكذا فإن النقاد مثل جونكين سيجادلون بأن أدوات التفكير عند بورديو ليس لها مجال للتغيير، ومع ذلك فقد تناول بورديو هذه المسألة في عمله في وقت لاحق في مناقشته لعلم الاجتماع الانعكاسي الذي أكد على احتمالية توليد العادة، كما ناقش بعض الأكاديميين أنه لا يوجد تمييز واضح بين مفهومي رأس المال الثقافي والهابيتوس(Musofer, 2018) .

والنقد الرئيسي لنظرية الممارسة أن بورديو ركز على فكرة الهابيتوس كميزة فردية، ما لم يتم تشكيلها من خلال التفاعل، ومع ذلك فإنه لم يشرح التحولات التي يمكن أن تحدث داخل البناء مثل تناوله للتكنولوجيا كتطور. (Kort, & Gharbi , May 2013, p93)

و عانى تصور بورديو للهابيتوس من أوجه قصور يتضح من خلال:

أن الحقل العلمي يتكون من مجموعة فروع متشابكة من خلال التفاعل مع بعضها، والهابيتوس لم يعلل المستوى المتوسط لهذه التفاعلات.

لا يمكن أن يعلل كيفية إعادة إنتاج الحقل العلمي، وبالتالي يتجاهل الآليات التي تنتج التغيير.

(M. Simon,2011, p22)

وأما بورديو وتناوله للانعاكسية "بكتابه علم الاجتماع الانعاكسي" فالوضع الحالي للانعاكسية في العلوم الاجتماعية مازالت تمثل لغزًا . فمن ناحية يوافق الجميع تقريبًا على موجب تأثير الانعاكسية في الممارسة النظرية والبحثية . إلا أنه من ناحية أخرى أصبحت تلك الانعاكسية جزءًا من الاعتقاد الزائف في المجال العلمي الاجتماعي.(Karl , february 2003 p54)

د. الانتقادات الواقعية

كانت نظرة بورديو للواقع متاثرة بنظرة الماركسية للصراع، فكان يرى المجتمع دائمًا في حالة صراع "الصراع الاجتماعي السياسي" حيث كانت أعماله ذات طابع نقدي مشاكس في تصوره المفرط للسلطة الرمزية والطبقة الحاكمة.

حيث حدد **Robbins** وهو ناقد مؤيد لبورديو يصفه بأن كتاباته لم تحظَ بقبول شعبي باعتباره براجماتي متطاول، لأنه يساء فهمه من قبل جمهوره، فبورديو والثقافة ما هو إلا تفسير شاذ من شخص مفكر في توسيع أفكاره وتناولها واستقبال جمهوره لها، مستعملاً بورديو نفسه لمنهجية تحليل تاريخ مشروعه الفكري.

فيري **Robbins** أن تصورات بورديو، استنبطت للتطبيق الفوري بدلاً من إضفاء الطابع الرسمي عليها.

إلا أنه اختتم عمله بفكر مضطرب أو بالأصح ضعيف، من خلال مناداته بموجب فضيلة الانفتاح لوجهة النظر الاجتماعية للجنس في عرضه لتصوره للهيمنة الذكورية . (**Warde , 2002, p1003,1004)**

خامسًا: أوجه التقارب والتباعد بين فكر بيير بورديو وكلٍ من كارل ماركس وماكس فيبر:

- **كما هو الحال عند ماركس:** يرى بورديو أن المجتمع مكون من طبقات اجتماعية متصارعة بغرض امتلاك رؤوس الأموال المختلفة، وأن علاقات القوة والمعنى تساهم إما في استدامة النظام الاجتماعي وإما في إعادة النظر فيه، حيث يوجد تآلف كبير بين علم اجتماع بورديو والماركسية من جهة؛ لأنهما ينظران إلى النظام الاجتماعي من خلال النموذج التفكيري للهيمنة؛ لأنه من المستحيل الوصول إلى فهم واضح وصحيح للفضاء الاجتماعى دون الكشف عن الصراعات الطبقية.
- **وعلى غرار ماكس فيبر**، يذهب بورديو إلى أنه من الضروري الأخذ بعين الاعتبار التمثلات الاجتماعية المصاغة من قبل الأفراد لإعطاء معنى للواقع الاجتماعي. (بزاز ٢٠٠٧، ،ص ب)

حيث إنه عند دراسته للمجتمع القبائلي في الجزائر، تناول بالتحليل البنيوي فكرة تمثلات الأشخاص للقرابة، والتمثلات التي تتولد عن علاقات هذه القرابة في المجتمع القبائلي.

والجدير بذكر أن بيير بورديو كان أحد أهداف عمله يتمثل في معالجة الظواهر الرمزية ضمن منظور مادي، وهذا ليس أمرًا سهلاً، ذلك أن أشياء الثقافة (أو الأشياء الثقافية) مصنوعة أو مبنية تاريخيًا ضد الاقتصاد والسياسة.

وأيضًا فيبر كان رائدًا لما يمكن أن ندعوه بالماركسية الرمزية، وكان يقول: إذا كانت الماركسية تعني أن القواعد الاقتصادية هي الحاسمة، فإني أنا أيضًا ماركسي، إن الشيء الذي حاول فيبر أن يفعله هو البرهنة على وجود قاعدة اقتصادية للظواهر الرمزية (من طقوس وأديان وأساطير ولغات.. إلخ).

وقد برهن بورديو في أحد مقالاته التي صدرت بعنوان "اقتصاد السلع الرمزية" على أن فيبر قد ذهب مسافة أبعد من ماركس في مجال تحليل الأديان، وكان أكثر جذرية منه، وأكثر مادية، حيث يعتقد بورديو أن النظرية المادية للدين موجودة لدى فيبر أكثر مما هي موجودة لدى ماركس؛ لأن ماركس كان قد اكتفى بتحليل وظيفة الإيديولوجيا الدينية، أما فيبر فقد تجاوز ذلك واتخذ موضوعًا لدراسته سوسيولوجيا الفاعلين الدينيين، أي الكاهن والنبي والساحر.

وعندما بلور بورديو مفهوم الحقل الديني استطاع أن يشكّل هذا الفضاء المستقل نسبيًا، والذي تدور فيه رهانات خاصة ويتصارع فيه الفاعلون الاجتماعيون (أي البشر) بواسطة استخدام أشكال مختلفة من الرأسمال الديني. (درويش، ٢٠٠١، ص١٤)

وبالنسبه لبورديو أكد من خلال حوار له لكي نتجاوز الخلاف بين ماركس وفيبر:

- ينبغي التخلي عن نظرية الانعكاس، وذلك لأن المنتوجات الثقافية هي عبارة عن تركيبات أو هياكل مشكلة لرؤيانا عن العالم، بل أكثر من ذلك أنها تساهم في صنع العالم، وليست فقط مجرد انعكاس للعالم المادي، كما قلت آنفا إننا نجد أسس النظرية المادية للأنظمة الرمزية وخصوصًا الدين لدى ماكس فيبر أكثر ما نجدها في ماركس، لم يحلل ماركس المنطق الخصوصي للإنتاج الديني لأنه كان مشغولاً بشيء آخر، في حين راح فيبر يؤسس ما سأدعوه باقتصاد الأديان،

لقد حاول دراسة فضاء الإنتاج الديني عن طريق مقارنته وموازنته بفضاء الإنتاج الاقتصادي المادي نفسه.

- الشيء الذى فعلته أنا هو أنني حورت فيبر وأعدت التفكير في نظريته من جديد ضمن منظور بنيوي، لقد بينت في دراساتي حول الموضوع على أن هناك حقلاً دينيًا وفاعلين اجتماعيين متنافسين داخله، وهم يستخدمون وسائل مختلفة وعديدة على طريقة الشركات الاقتصادية من أجل إنتاج السلع الدينية، ومن أجل بيعها واستجلاب الزبائن، إلخ... الشيء الجديد والمهم الذي أتى به فيبر هو تركيزه على المصالح الدينية البحتة، ذلك أن الممارسات الدينية تخلق (أو تثير) لدى المنتجين المحترفين من أنبياء وكهنة وغيرهم مصالح ليست فقط اقتصادية على الرغم من أنها تتضمن عاجلاً أو آجلاً مصالح اقتصادية.

وأفاد بورديو أنه ما يريد القيام به في ساحة علم الاجتماع: هو تأسيس علم اقتصاد سياسي للظواهر الرمزية، أو لما هو رمزي، أو إذا شاء فإن منهجيته تتمثل بمادية الرمزي. (هاشم ،١٩٨٦،ص٦٩-٧٠)

الخاتمة

في ضوء أهداف الدراسة توصلت هذه الورقة البحثية إلى عدة نتائج أهمها:

١. جاءت أعمال بيير بورديو من خلال محاولته الجادة لتجاوز أزمة علم الاجتماع ليفكك التعارضات السائدة في أدبيات وتراث علم الاجتماع مثل التعارض بين الذاتية والموضوعية \ التعارض بين الأبعاد المادية والرمزية للحياة الاجتماعية \ التعارض بين التأويل والتفسير \ والتعارض بين المستويات الكبرى والصغرى للتحليل.

٢. أن الفرد يحتل موقعًا في الفضاء الاجتماعي.

٣. ظهرت فكرة بورديو عن نظام التعليم كآلية لتحقيق المساواة والحراك الاجتماعي.

٤. كل من الهابيتوس والمجال مفهومان أساسيان يتواجدان في ضوء علاقة كل منهما بالآخر.

٥. نقد بورديو لعلم الظواهر جاءت ضمن نقده الأوسع "للذاتية" بشكل عام تحت مصطلح الفينومينولوجيا عامة.

٦. أي نوع من رأس المال يكون محل صراع في مجال بعينه، حيث يعد المجال الإجتماعي مجال للقوة تميزه طبيعة العلاقات والتفاعلات القائمة بين الأفراد المشاركين فيه، مما أدى إلى نشوء علاقات قوى، وعلاقات للسلطة تأخذ شكل الهيمنة.

٧. السوسيولوجيا عند بورديو هي سوسيولوجيا علمية تقوم على انتقاد واقع الهيمنة والقوة والنفوذ، ونقد المجتمعات التي تدعم الظلم واللامساواة وصراع الحقول والطبقات الاجتماعية... ويعني هذا أن بيير بورديو ينطلق من سوسيولوجيا نقدية صراعية أو مقاربة صراعية.

٨. أهم ما يميز تصور بورديو هو أنه لم يختزل كل صور الحياة الاجتماعية في البعد الاقتصادي كما ركزت الماركسية، إنه يرى أن هناك تساندًا وتفاعلاً بين الأبعاد السياسية والرمزية والثقافية والاقتصادية.

٩. جاءت أعمال بيير بورديو متجسدة في معالجة الظواهر الرمزية ضمن منظور مادي على غرار فيبر عندما دعا بالماركسية الرمزية أيضًا.

ويجب الإشارة في نهاية هذه الورقة البحثية إلى أنه من الصعب على أي كاتب أو باحث أن يلم إلمامًا تامًا بفكر وأعمال المفكر الفرنسي بيير بورديو، خصوصًا أن معظم أعماله باللغة الفرنسية التي ترجم منها الكثير إلى اللغة الإنجليزية.

ومن القضايا الجديرة بالبحث في المستقبل بعد مسح التراث البحثى لبيير بورديو:

١. تحولات نظم التعليم وصراع الطبقات الاجتماعية في المجتمع المصري.

٢. الأبعاد الاجتماعية للبرامج التلفزيونية وآثارها على الوعي الاجتماعي.

٣. تجديد الخطاب الدينى للتنظيمات الدينية ورأس المال الدينى في المجتمع المصري.

المراجع المستخدمة

1. Allen, Douglas E. and Anderson, Paul F. (1994). Consumption and Social Stratification: Bourdieu's Distinction , Advances in Consumer Research, 21 , retreived on : 7\11\2017 from http://www.acrwebsite.org/search/view-conference-proceedings.aspx?Id=7565

2.Bourdieu , Pierre.(nd). The Forms capital " Richardson, J., Handbook of Theory and Research for the Sociology of Education (1986)" Westport, CT: Greenwood

3.Bourdieu , Pierre. (1998) . On Televison (Ferguson , Priscilla Parkhurst trans.) ,Newyork :The New Press

4. Bourdieu , Pierre &.Passeron , Jean-Claude (1990). Reproduction in Education, Society and Culture , (Nice , Richard Trans.) , London : Sage puplication

5.Crossman , Ashley.(25 May 2019) A Brief Biography of Pierre Bourdieu Get to Know the Life and Work of This Important Sociologist , Retrieved on : 25 March 2021 From https://www.thoughtco.com/pierre-bourdieu-3026496

6.Dillon , Michele .(Nov 2001). Pierre Bourdieu, Religion,and Cultural Production, Cultural Studies \ Critical Methodologie s, University of New Hampshire: sage puplication

7.Dwilley , Robin.(2016). Liminal practice: Pierre Bourdieu, madness, and religion Social compass , 63(1) , London : sage publications

8.Friedland , Roger.(2009). The Endless Fields of Pierre Bourdieu , 16(6),Organzations Article, The Author(s): Reprints and permissions

9.F. Dépelteau et al. (eds.).(2013). Applying Relational Sociology ,(W. Mohr , John , Bourdieu's Relational Method in Theory and in Practice: From Fields and Capitals to Networks and Institutions) (and Back Again): François Dépelteau and Christopher Powell

10.Karl , Maton .(february 2003). Reflexivity, Relationism,& Research Pierre Bourdieu and the Epistemic Conditions of Social

Scientific Knowledge, space & culture 6 9(1), University of Cambridge: Sage Publication

11.Kort, Wafa & Gharbi , Jamel Eddine.(May 2013). sructuration theory amid negative and positive criticism, International Journal of Business and Social Research (IJBSR), 3, (5)

12.Medvetz, Thomas& J. Sallaz Jeffrey.(2018). Introduction: Pierre Bourdieu, a Twentieth-Century Life, : The Oxford Handbook of Pierre Bourdieu Retreveid 24 March 2021 From https://www.oxfordhandbooks.com/view/10.1093/oxfordhb

13.M. Simon, Richar(2011). Habitus and Utopia in Science: Bourdieu, Mannheim, and the Role of Specialties in the Scientific Field, Studies in Sociology of Science, 2, (1).

14.Ollion , Etienne .(2012, Nov). Pierre Bourdieu , Retrieved 24 March2021 from http://www.oxfordbibliographies.com/view/document/obo-9780199756384/obo-9780199756384-0083.xml

15.Outline the concepts of habitus and social field in Bourdieu's Sociology. How valuable are these concepts for the sociological analysis of social life? retreived on : 7\11\2017 from https://kirstyahawthorn.wordpress.com/.../outline-the-concepts-of-ha...

16.Saraceno , Chiara .(OCT 2014). Do we need capital accounts for culture? N0 367 ,Rome: Collegio Carlo Alberto

17.Schinkel, Willem.(2015) .The sociologist and the state. An assessment of Pierre Bourdieu's sociology ,66(2): The British Journal of Sociology.

18.Susen , Simon. (2014). Reflections on ideology: Lessons from Pierre Bourdieu and Luc Boltanski, Thesis Eleven, (124), 1 , London : sagepublication

19.Sullivan, Alice.(Jan 2002). Bourdieu And Education : How Usfel is Bourdieu s Theory For Researchers? , The Netherlands : Journal of Social Sciences - Vol 38 ,No2 .

20. Tabb, Emily .(nd). Outline and assess Bourdieu's explanation of social inequality? p2 retreived on 7\11\2017 from https://tavaana.org/sites/default/files/2011SC301_EmilyTabb.pdf

21. Throop, C. Jason & Murphy ,Keith M.(2002). Bourdieu and Phenomenology A critical assessment, Anthropological Theory , 2(2) London ,Thousand Oaks, CA
and New Delhi : SAGE Publications

22.The preveiw book : peirre Bourdieu , Pascalian Meditations retrieved in 8\12\2017
http://www.sup.org/books/title/?id=2042

23.Wacquant, Loïc.(May2006). Pierre broudieu,, p1 , London Journals sage pub.com Retrieved on 28 OCT 2017 from http.journals.sagepub.com.mplb.ekb.eg/action/doSearchPierre+Bourdieu&field2

24.Warde , Alan.(2002). Constructions of Pierre Bourdieu, Volume 36(4) , London : SAGE puplications
25.Wolfreys , Jim .(summer 2000). In perspective: Pierre Bourdieu of International Socialism, Journal : International Socialism , Issue 87 Retrieved 0n 10\11\2017
From :
http://pubs.socialistreviewindex.org.uk/isj87/wolfreys.htm

26. Musofer, Reshma.(nd). What are some criticisms of bourdieu s theories ? retrieved on : 24\11\2017 from https://www.quora.com/What-are-some-criticisms-of-Bourdieus-theories 10:59am

27.https://www.goodreads.com/author/show/45739.Pierre_Bourdieu

٢٨. بزاز، عبد الكريم. (٢٠٠٧). علم اجتماع ببير بورديو، رسالة دكتوراه، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية :جامعه منتورى قسنطنية

٢٩. بورديو، بيير. (١٩٨٦). الرمز والسلطة، ترجمة: عبدالسلام بن عبد العالي، الطبعة الأولى، ص ٩، المغرب: دار توبقال للنشر.

٣٠. بورديو ،ببير (هاشم صالح) " محاور " .(يناير ١٩٨٦). بورديو بين كارل ماركس وماكس فيبر يمكن للعرب أن يكون لهم عصر تنويرهم الخاص، مجلة الفكر العربى المعاصر(٣٧): مركز الإنماء الوطنى

٣١.جميل حمداوي (٧ \ ٣ \ ٢٠١٥). المفاهيم السوسيولوجية عند بورديو http://www.alukah.net/authors/view/home/3835/ استرجعت في ٢٠١٧\١١\١١

٣٢. درويش، عبد الكريم (٢٠٠١). بورديو بين كارل ماركس وماكس فيبر (أدب ونقد)، ١٧(١٩٤): حزب التجمع الوطني الوحدوي.

٣٣.شوفالييه، ستيفان وشوفيري، كريستيان. (٢٠١٣). معجم بورديو "ترجمة الزهرة إبراهيم، سوريا، ط١: علي مولا للدراسات والنشر.

٣٤.علي، الطاهر، أحمد ملاح. (٢٠١٦). السلطة الرمزية عند بيربورديو: الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، ١٦.

.